إدارة الأزمات عند الأنبياء : في القرآن الكريم (النبي إبراهيم ع انموذجًا)

الباحثة مريم هادي رضا الجعيفري

العدد: 40 السّنة: السابعة عشرة آذار 1443هـ / 2022م
DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

الملخّص

من الممكن إيجاز البحث بما يأتي:

إن النبي إبراهيم ع حين رأى الكواكب قال هذا ربي على سبيل التشكيك وليس الإيمان، وكان ع في مواجهته للأزمات استخدم الأدلة العقلية في بطلان عبادة غير الله وأثبات عبادة الواحد الأحد بالدليل العقلي، وقد تسلسل في الأدلة العقلية لبطلان الشرك تسلسلاً منطقياً دقيقاً ومحكماً في الوقت نفسه.

ثم أن النبي إبراهيم ع في مواجهته للأزمة دأبه ككل الأنبياء : استخدام أدب الحوار واحترام الآخر وعدم التعدي على ما يعتقد إلا بما يناسب الأدب والدعوة إلى الله، ثم ختم ع هذه المواجهة للأزمة بعد بيان بطلان ما يعبدون وانكشاف الحقيقة قدم مشروعه العالمي وهو عبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به، فلم يدعهم في حيرة وتيه من أمرهم بل قدم لهم المشروع الإلهي كحل ناجع لتلك الأزمة.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

Summary

The search can be summarized as follows:

The Prophet Ibrahim, when he saw the stars, said this, my Lord, as a matter of skepticism, not of faith. In confronting crises, he used rational evidence to invalidate the worship of other than God, and to prove the worship of the One and Only with rational evidence. .

Then the Prophet Ibrahim x in confronting the crisis he used to use the literature of dialogue and respect for the other and not transgressing what he believes except in what is appropriate to literature and the call to God. And not to associate with Him, so He did not leave them in a state of confusion and wandering about their affairs, but rather presented them with the divine plan as an effective solution to that crisis.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد...

كان للأنبياء : في دعوتهم النصيب الأوفر في مواجهة الأزمات؛ إذ إن المشركين لا يقرون بما في أيدي الأنبياء:، فما يلبثوا حتى يثيرون الأزمات، ولهذا سخر الأنبياء: كل الطاقات لتوظيف كل الأدلة لمواجهة أزماتهم، ومن الأنبياء: النبي إبراهيم 7، فقد واجه الأزمات طوال حياته المباركة وفي جميع مراحلها المختلفة، ومعالجتها بأفضل الطرق والحصول على أفضل النتائج المتوخاة من تلك المواجهات، وهذا ما بينه القرآن الكريم، ومن تلك الأزمات التي واجهها النبي إبراهيم 7 شرك البشر وعبادتهم للأجرام السماوية، فلابد من الوقوف على تلك الحلول للأزمات ودراستها بانعام نظر للاستفاد منها في وقتنا الحاضر وتوظيفها في حل الأزمات الراهنة على مستوى الفرد والمجتمع .

المقصد الأول: النبي إبراهيم ع في القرآن الكريم :

ذكر اسم النبي إبراهيم : في 69 موضعاً من القرآن الكريم في 63 آية، مكرر مرتين في 4 آيات، ومكرر ثلاث مرات في آية، موزعة على 25 سورة من الذكر الحكيم.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

أولاً/ أوصافه في القرآن الكريم: وقد وصفه القرآن الكريم بعدة صفات منها:

1- أنه من القانتين قال تعالى:﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(1) .

2- أنه أواه حليم قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾(2) .

3- انه من الصديقين قال تعالى:﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾(3)

4- أنه وفى قال تعالى:﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾(4) .

5- أنه من المحسنين قال تعالى:﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (5) .

6- أنه من الصالحين قال تعالى:﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (6) .

ثانياً/ أقسام حياته في القرآن الكريم: من الممكن أن تقسم حياته صعلى ثلاثة مراحل:

1- مرحلة ما قبل النبوة.

2- مرحلة نبوته ومحاربته للأصنام في بابل.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

3- مرحلة هجرته من بابل وتجواله في أرض مصر وفلسطين ومكة.

ثالثاً/ مواجهته للأزماته التي ذكرها القرآن الكريم: فقد ذكر القرآن الكريم للنبي إبراهيم عدة مواجهات للأزمات هي:

مر النبي إبراهيم7 بعدة أزمات مع قومه ذكرها القرآن الكريم وكما يأتي:

1- أزمته مع أبيه آزر.
2- أزمته مع المشركين (عبدة الكواكب).
3- أزمته مع عبدة الأصنام.
4- أزمته مع ملك بابل.

وكان في كل هذه الأزمات في منتهى الدقة والحكمة، حيث استخدم أرقى أساليب المواجهة مع خصومه للوصول للحلول المبتغات، لكنهم مع كل ما قدمه النبي ص يعاندون ويصرون على كفرهم وطغيانهم .

المقصد الثاني: مواجهته : لأزمته مع عبدة الأجرام السماوية:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ۝ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (7)

أولاً/ الأمور المستوحاة من الآيات التي ذكرت المواجهة:

تسع آيات في الذكر الحكيم تسرد لنا قصة بطل التوحيد نبي الله إبراهيم 7، وكيف واجه تلك الأزمة بالعقل والفطرة للاستدلال على توحيد الله وتنزيهه عما كانوا به يشركون، حيث قال الطباطبائي: «و لحن كلام إبراهيم ع فيما حكاه الله سبحانه في هذه الآيات إن تدبرنا فيها بأذهان خالية عن التفاصيل الواردة في الروايات و الآثار على اختلافها الفاحش، غير مشوبة بالمشاجرات التي وقعت للباحثين من أهل التفسير على خلطهم تفسير الآيات بمضامين الروايات و محتويات التواريخ و ما اشتملت عليه التوراة و أخرى تشايعها من الإسرائيليات إلى غير ذلك، و بالجملة لحن كلامه ع في ما حكي عنه في هذه الآيات يشعر إشعارا واضحا بأنه كلام صادر عن ذهن صاف غير مملوء بزخارف الأفكار و الأوهام المتنوعة أفرغته في قالب اللفظ فطرته الصافية بما عندها من أوائل التعقل و التفكير و لطائف الشعور و الإحساس»(8), وهذا الرأي وإن كان فيه كلام، إلا أنه يبين كيفية مواجهة إبراهيم ع لهذه الأزمة .

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

ثانياً/ خطوات النبي إبراهيم ع في مواجهته لأزمات:

1- الإحاطة بالمشكلة: وهنا نبي الله إبراهيم ع قدم لنا مبدأ مهما في مواجهة الأزمات وهي الإحاطة بالمشكلة ودراستها دراسة متعمقة لفهم مفادها ونقاط ارتكازها ليتم معالجتها بإبطال مرتكزاتها.

2- اليقين فيما يدعو إليه: فقد قال تعالى نري إبراهيم ع لملكوت القدرة التي تقوي وتثبت من الحجة والبرهان لديه على توحيد الله عز وجل، أو رأى قدرة الله في الخلق وتدبيره(9)، فقد ورد عن أبي عبد الله ع أنه قال: «كشط لإبراهيم السموات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش وكشط له الارض حتى رأى ما في الهواء وفعل بمحمد صلى الله عليه وآله مثل ذلك واني لأرى صاحبكم و الائمة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك»(10)، وقيل: «ما في السماوات من عبادة الملائكة والعجائب وما في من عصيان بني آدم»(11)، فإن كلام إبراهيم ع وهو فتى حين رأى الكوكب هذا ربي، ثم رأى القمر ثم الشمس، وكانه لم يرهن من قبل وهذا محال، حيث أنهن يظهرن كل يوم فكيف لا يراهن، فاستدل ببطلان الأول بالثاني والثاني بالثالث، إذا هو لأجل الاستدلال لا أنه شرك.

3- أدب الحوار: فقد ابتدأ نبي الله إبراهيم ع بأدب الحوار مع آزر، حيث قال له: يا أبتي، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم في سورة مريم فقال إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾(12)، وهي كلمة تحمل في طياتها من العواطف والمشاعر والميول ما تحمل، وبها أراد نبي الله إبراهيمع أن يوصل المعنى لأزر أني أحبك وأودك

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

وأخاف عليك من عاقبة ما أنت عليه من الشرك والجحود، وهو أولى أن يُنْذَرُ، حيث الأقرب فالأقرب، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(13)، وحين طرده كان بكل أدب واحترام يقول له: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾(14)، مضافاً إلى إنه إنذار فإنه في الوقت نفس هو معروف يقدمه لهم لخوفه عليهم من عاقبة الشرك.

4- اللين وعدم الغلظة وكسب ود الطرف الآخر: فقد أراد أن يميل ويكسب ودهم، حيث أني مؤمن بما أنتم عليه، ثم يبطل ما يشركون به، وهو من حكمه الحوار والدعوة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(15)، فحين يبطل شركهم يكونون له أكثر ميلاً وتقبلاً من النفي المباشر لعبادتهم.

5- بيان بطلان المعتقدات لدى الطرف الآخر: فقد وصف هذا الضلال بالبين أي الواضح، حيث الأدلة والبراهين التي يقدمها النبي ع ، وما هم يرونه من ضعف واحتياج هذه المعبودات إلى من يخدمها ، وعدم التحقير والاستهانة لمعتقدات الطرف الآخر: حيث لم يلقي عليهم من الكلام الغليظ الدال على التحقير لآلهتهم «فمن المستبعد أن يلقي إليه أول ما يواجهه من الكلام ما يتضمن تحقير شأن آلهته المقدسة عنده في لحن التشويه و الإهانة فيثير به عصبيته و نزعته الوثنية، و قد نهى الله سبحانه في هذه الملة التي هي ملة إبراهيم حنيفا عن سب آلهة المشركين لئلا يثير ذلك منهم ما يواجهون المسلمين بمثله قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(16)»(17)، وهذا فيه من أدب الحكمة الدالة على رجاحة العقل، وأدب الحوار العالي، وهو من أولويات مواجهة الأزمات .

6- تقديم الأدلة على مدعاه من إبطال وإثبات: ثم انتقلت الآية إلى إعطاء الأدلة على بطلان ما يعبدون من الكواكب، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾، وهنا يرد سؤال: هل إن الأنبياء : معصومون، أم غير معصومين؟ وإذا كانوا معصومين فكيف قال نبي الله إبراهيم ع عند رؤية الكواكب هذا ربي، وهل هذا شرك من نبي الله إبراهيم ع ، أم ماذا؟ وبعبارة أخرى: هل إن نبي الله إبراهيم ع كان كلامه على سبيل الحقيقة، أم على سبيل المجاز؟ فقد ورد في هذا أدلة على عصمة الأنبياء: عموماً، وفي هذا الخصوص عن النبي إبراهيم ع ، وإن كلامه على سبيل المجاز، ومن هذه الأدلة أدلة نقلية، وأدلة عقلية، أما بخصوص الأدلة النقلية، فقد روي عن النبي ’ أنه قال: «لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات، حتى أخرجني في عالمكم هذا، لم يدنسني بدنس الجاهلية»**(18)**، و قد روي عن الإمام الرضا ع إنه قال: «على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار.... وإنما أراد إبراهيم عليه 7 بما قال إن يبين لهم بطلان دينهم ويثبت عندهم أن العبادة لا تحق لما كان بصفة الزهرة والقمر والشمس وإنما تحق العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض» **(19)**

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

7- وقال الشيخ المفيد (ره): «واتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله ’ من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله - عز وجل - موحدون له. واحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار، قال الله - عز وجل: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۝ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾» (20)**(21)** .

فإذا كان هذا حال أباء الأنبياء :، فالأنبياء: أولى أن يكونوا مؤمنين موقنين بالله لا يشركون به طرفة عين أبداً، إنما قال إبراهيم ’ استعطافاً لقومه وليريهم قصور علمهم و بطلان عبادتهم لمخلوق جار عليه أعراض الحوادث، وهو من أسس مواجهة الأزمات .

فإنهم كانوا يعبدون الشمس و القمر و الكوكب، و بعضهم يعبدون النيران، و بعضهم يعبدون الأوثان، فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه، قال لهم: هذا ربي في زعمكم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾(22)، فأضافه إلى نفسه حكاية لقولهم، فكأنه قال لهم هذا ربي في قولكم، أو أنه نوى في قلبه الشرط، أي: إن كان ربكم هذا الحجر كما تزعمون، فهذا الكوكب و هذا القمر و الشمس ربي، و لم يكن الحجر ربهم و لا الكوكب ربه، و في هذه الآيات دلالة على حدوث الأجسام و إثبات الصانع.

وهو من باب التودد والتلطف وكسب الآخر وبيان العيب على مدعاه، ثم استدل إبراهيم ع بالأفول على حدوثها؛ لأن حركتها بالأفول أظهر، ومن الشبهة أبعد، و إذا جازت عليها الحركة و السكون، فلا بد أن تكون مخلوقة مُحدَثة، و إذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث، و المحدث لا بد أن يكون قادراً ليصح منه الإحداث، و إذا أحدثها على غاية الانتظام و الإحكام، فلا بد

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

أن يكون عالماً، و إذا كان قادراً عالماً وجب أن يكون حياً موجوداً، و فيها تنبيه لمشركي العرب و زجر لهم عن عبادة الأصنام، وحث لهم على سلوك طريق أبيهم إبراهيم ع في النظر و التفكر؛ لأنهم كانوا يعظمون آباءهم فأعلمهم سبحانه أن اتباع الحق من دين إبراهيم الذي يقرون بفضله أوجب عليهم[23]، فهوع يسوق الأدلة والبراهين على بطلانها .

8- طرح الحلول: وفي أثناء جمع البيانات والمعلومات المتعلقة بالأزمة تطرأ على الذهن بعض الحلول المحتملة لأزمة أو بعض الفروض، والفرض هو حل مقترح للأزمة.

وحينما يضع الإنسان حلاً لأزمة ما، فأنه يقوم عادة بتمحيص هذا الفرض ومناقشته على ضوء ما لديه من معلومات وبيانات؛ للتأكد من وملائمته وصلاحيته لحل الأزمة، وقد يجد الإنسان إن الفرض الذي وضعه لا يتفق مع ما لديه من معلومات، وحقائق يقوم باستبعاده.

المقصد الثالث: مواجهة النبي إبراهيم ع لأزمة عبدة الكواكب دراسة تطبيقية:

بعد كل ما تقدم يظهر كيف واجهة النبي إبراهيم ع للأزمات في إبطال عبادة غير الله، وإنها ليست بأرباب، وهي مخلوقات، وليس لها علاقة في إيجاد الخلق، ولم يكن بيدها شيء من ذلك.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

1- الإحاطة بالمشكلة: فحينما يحس الإنسان بمشكلة فأنه يقوم عادة بفحص موضوع المشكلة من جميع نواحيها، لكي يفهمها جيداً ويقوم بجمع البيانات المتعلقة بها، ويقوم بفحصها لمعرفة درجة ملائمتها لموضوع المشكلة، أو عدم ملائمتها، ويبقى منها ما هو ملائم ويستبعد ما هو غير ملائم .

إن جمع المعلومات والبيانات الملائمة لموضوع الأزمة يساعد على توضيح الأزمة وفهمها وتحديدها بدقة مما يسهل لوضع فروض لحلها.

فقد انتقل إبراهيم 7 لمرحلة الملاحظة وجمع المعلومات والبيانات من خلال ملاحظة المظاهر الكونية المختلفة في السماوات؛ لعلهم يهتدون منها إلى معرفة الإله، فنظر في الكوكب والقمر والشمس وغيرها من الظواهر الكونية.

2- اليقين فيما يدعو إليه: ثم بعد كل ما تقدم يطرح مشروعه العالمي بعبادة الله وحده لا شريك له على وجه اليقين وليس الشاك والمتردد، فقال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(24)، وذكر بعض مخلوقاته وهي السماوات والأرض، وفيها إشارة إلى العظمة من ناحية خلقهما وحجمهما، فقد استدل على ربوبية ما سبق بالكبر؛ فيكونا أكبر منهما والله خالقهما، فهو أحق أن يعبد من دون ما ذكر، والأمر الثاني لأن المعبودات المتقدمة صنفان: الأول الأصنام وهي جزء من الأرض، ولا تقاس بالنسبة إليها إذا ما قورنت بها وكم تساوي من مجمل الأرض، فهو نسبة الواحد إلى مالا نهاية؛ والثانية الكواكب وهي جزء من السماوات، فهي كذلك لا تقاس بالنسبة إلى السماء الدنيا، فكيف بباقي

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

السماوات، حيث ورد عن أبي عبد الله ع إنه قال: «ما السماء الدنيا في السماء الثانية إلا كحلقة درع ملقاه في أرض فلاة، وكذلك كل سماء عند سماء أخرى»(25)، فإذا كانت السماء الأولى هكذا تكون في السماء الثانية، والكواكب صغيرة بهذا الحجم في السماء الدنيا، فما بالها في السماء الثانية والثالثة إلى آخر سماء، أليس بخالق هذه بأحق أن يعبد ؟

وبعد استبعاد الفروض غير الملائمة، والتي كانوا يعتقدون بصحتها، وبيان عدم صحتها بالدليل والبرهان العقلي، طرح فرضه ومعتقده، وبيان عدم تناقضه وحدوثه، والبرهان على ذلك الدليل من بديع خلقة ولطف صنعه، وهنا تكمن اعمال العقل والتدبر، وهو حل الأزمة فلا يمكن أن تكون مواجهته للأزمة وبطلان ما يعبدون من دون تقديم حل لهذه الأزمة وتقديم البراهين على صحته لتِباعِه .

لم يكتفي القرآن الكريم بالملاحظة والتفكر في الظواهر الكونية، وإنما وضع أساس المنهج التجريبي للتحقق من صحة المعلومات البرهنة على الحلول الصحيحة للأزمات، للوصول إلى المعرفة اليقينية فيما نقوم في بحثه من مشكلات، وهذا هو الأساس الذي عليه البحث التجريبي عند العلماء المسلمين، فقد أعطانا القرآن الكريم مثال واقعي للبحث التجريبي في حل الأزمات، وهو ما أشار إليه تعالى في قوله: .

وأشار القرآن بضرورة إقامة الدليل العقلي، أو التجربة في القضايا الحسية الواقعية، فقد انتقد القرآن الكريم من قال: إن الملائكة إناث، وطلب منهم إقامة الدليل العقلي الذي يثبت صحة قولهم، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾(26)، وفي الوقت نفسه أكد زيف مدعاهم؛ وهو أنهم لم يشهدوا خلقهم، فكيف عرفوا بأنهم أناث .

إن تفكير الإنسان معرض للخطأ، فقد يتعرض لبعض العوائق التي تحرفه عن الطرق الصواب وتحول بينه وبين الحقيقة، وإذا تراكم على تفكير الإنسان كثير من عوائق التفكير أصيب بالجمود، وأصبح غير قادر على تقبل الآراء والأفكار التي توصله إلى الحقيقة، وهنا يكمن المشكلة والصعوبة في مواجهة الأزمات، حيث من التصعب تخليهم عن معتقداتهم وتقبلهم للآخر المختلف معهم في الرأي، وخصوصاً إذا كان الاختلاف عقائدياً، فلابد من بيان البطلان لمعتقدهم بحيث تصبح لهم القناعة ببطلانه، من ثم طرح الرأي الصحيح والبرهنة على صحته بحيث لا يساورهم الشك في صحته، وهذا من أسس مبادئ مواجهة الأزمات .

وقد وصف القرآن الكريم هذه الحالة من الجمود بالطبع على القلوب، فقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(27)، أو بالختم عليها: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(28)، أو بوضعها في أكنة: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾(29)، أو بوضع أقفال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(30).

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

3- أدب الحوار: وهنا لابد من التركيز والإشارة إلى تعبير نبي الله 7 وأخلاقه السامية وأدب حواره مع الآخر، فإنه بعد استدلاله على بطلان عبادة الكوكب لم يقل: إني أنا كافر أو مشرك وإنه كذا وكذا، بل قال بلطف وأدب: إني لا أحب الأفلين، وهذه هي أخلاق النبوة والأنبياء:، وجميع من يقول بإتباعهم عليه أن يتخلق بأخلاقهم.

ثم رأى القمر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾(31)، ثم إن القمر أكبر من الكوكب الأخرى وأشد نوراً فهو أولى منه بأن يكون ربه للأسباب المتقدمة، فقد افترض فيه نفس ما افترض في سابقه وحين أفل قال: إنه ليس برب إذ كيف أن ينعم على المخلوقات، والمخلوقات تنعم منه وهو غائب .

4- اللين وعدم الغلظة وكسب ود الطرف الآخر: فحين رأى كوكباً قال: هذا ربي، على سبيل الإنكار كما مر سابقاً، وهذا ما أكده الزمخشري بقوله: «هذا رَبّى قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل، فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكرّ عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة»(32)، وهو يقول رب، ولم يقل إله، حيث إن الرب هو أعم من الإله؛ لأن الرب هو المدبر، فيقال: رب البيت، ورب الدار، وغير ذلك(33)، فهو ينفي عنها التدبير، وما كانت هذه صفته فأولى أن لا يعبد، وهذه أول الخطوات في مواجهة الأزمة .

5- بيان بطلان معتقدات الطرف الآخر: فقد استند 7 الى الحوار والاستدلال العقلي على بطلان ما يدعون، انجلى الليل وتنفس الصباح

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

واشرقت الشمس بأمر الله، ووجد قوم يعبدونها، قال: هذا ربي هذا أكبر، فقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾(34)، فقد استدل على بطلان الكوكب والقمر بالأفول والصغر، فإن هذا أكبر منهن، وبطبيعة الحال الصغير يكون محتاجاً إلى الكبير، ومضافا إلى كل ذلك إنها أكثر نوراً وفائدة للمخلوقات؛ فنورها وشعاعها وبعد هذا حين أفلت توجه إليهم بالقول: إني بعد هذه الأدلة والبراهين بريء مما تعبدون من دون الله؛ حيث إن فيهم النقص والخلل ولا يحق أن يعبد هؤلاء، فكان في كل مرة يستبعد الفرض الذي يضعه لعدم ملائمته، على وجه الانكار لا الإقرار .

6- تقديم الأدلة على مدعاه من إبطال وإثبات: فكان النبي 7 ينفي عنها الجزئيات، وبانتفائها تنتفي الكليات أيضاً، وحيث إن قومه لا يؤمنون بالله الواحد القهار ورسالته، فاستدل على بطلان ما يعبدون بالدليل العقلي، فالأفول وهو «غيبوبة النيرات كالقمر والنجوم»(35)، وهو دليل عقلي .

ويمكن تلخيص الخطوات التفكيرية في حل الأزمات، والتي أمدنا القرآن الكريم بمثال واضح لها في قصة إبراهيم ع، وفي الطريقة التي اتبعها للوصول إلى معرفة الخالق العظيم الذي خلق هذا الكون، منها الشعور بمشكلة: يبدأ التفكير بشعور الإنسان بوجود مشكلة لها أهمية بالنسبة له، ويشعر بدافع قوي يدفعه، لكي يصل إلى هدفه الذي يسعى إلى تحقيقه، إن الشعور بوجود مشكلة هو الخطوة الأولى في عملية التفكير والمواجهة.

لقد بدأ النبي إبراهيم ع بإشعار القوم ببطلان عبادة الأصنام التي

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

يعبدونها، لأن الإنسان هو الذي يصنع الأصنام، فكيف يعبد شيء يصنعه بيده ؟ وهذا الشعور أثار في أنفسهم مشكلة أخذت تلح عليهم وتسيطر على تفكيرهم، وهي: من إله هذا الكون، وشعورهم بدافع قوي يدفعهم للتفكير فيها بهدف الوصول إلى معرفة إله الكون وخالقه، وقد يساعد على هذا الدافع لديهم الفطرة السليمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(36)، وأي ضلال من أن يجعل الإنسان من يخلقه بيده إله يعبده، ويتخذ من كائن جامد لا روح فيه ولا إحساساً ملجأً يفزع إليه ويبحث عن حل مشاكله عنده، وهذه الخطوة الثانية في مواجهة الأزمة وهي بيان العيب أو القصور .

7- طرح الحلول: ثم يقوم بوضع فرض أخر، ويقوم بتمحيصه ومناقشته كما فعل بالفرض الأول، وتتكرر العملية حتى يصل إلى فرض مقبول وملائم لما لديه من معلومات وحقائق عن موضوع الأزمة ، وفي أثناء مرحلة الملاحظة وجمع المعلومات عن الظواهر الكونية المختلفة وضع إبراهيم بعض الفروض، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾(37)، ففي هذا أراد أن يحرك عقولهم؛ لأن الأفول مطلق الحركة، فكل متحرك محدث، وكل محدث محتاج إلى القادر، فلا يكون الأفل إله، بل الإله الذي لا يحتاج إلى أحد والكل محتاج إليه، فاستدل بالغياب؛ حيث حكم العقل بذلك بأن من يغب فهو حادث وعدم ربوبيته كذلك لعدم حضوره المستمر فإن احتجنا إلى شيء، أو حدث شيء وهو غائب فكيف بحال العباد .

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

لا أحب الأفلين، أي: إن حب المدبر والرازق مما لا شك فيه، ومن كانت صفته هكذا يتركني ولا يعلم بحالي فكيف أحبه .

ويختلف الناس في مدى إتباعهم للحقيقة فيما يصدرونه من آراء وأحكام، باختلاف علمهم ومستوى تفكيرهم، ونقائهم وصفاء سريرتهم.

* هوامش البحث *

(1) النحل : 120 .
(2) التوبة : 114 .
(3) مريم : 41 .
(4)النجم : ع3 .
(5) الصافات : 104 – 105 .
(6) النحل : 122 .
(7) الأنعام : ع5 – 83 .
(8) الميزان ، الطباطبائي: ع/ 161.
(9) مجمع البيان الطبرسي: 4/ 69.
(10) بصائر الدرجات، الصفار : ع12.
(11) الجامع لاحكام القرآن ، القرطبي: ع/ 58.
(12) مريم : 42 .
(13) الشعراء : 214 .
(14) مريم : ع4 .
(15) النحل : 125 .
(16) الأنعام: 108 .
(17) الميزان، الطباطبائي: ع/ 163.
(18) بحار الأنوار، المجلسي: 15/ ع11.
(19) عيون أخبار الرضا، الشيخ القمي الصدوق: 123.
(20) الشعراء : 218 – 219 .
(21) اوائل المقالات ، المفيد : 45.
(22) القصص : 62 .

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

(23) ظ: مجمع البيان، الطبرسي: 4/ ع3.
(24) الأنعام : ع9 .
(25) بحار الانوار، المجلسي: 25/ 385.
(26) الزخرف : 19
(27) النحل : 108
(28) البقرة : ع
(29) الإسراء : 46
(30) محمد : 24
(31) الأنعام : عع .
(32) الكشاف ، الزمخشري: 1/ 334.
(33) ظ المفردات ، الراغب الاصفهاني: 248.
(34) الأنعام : ع8 .
(35) المفردات، الراغب الاصفهاني: 35.
(36) الأنعام : ع4 .
(37) الأنعام : ع6 .

* المصادر والمراجع *

1- الميزان في تفسير القران, العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت1402هـ), منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان , ط2 , 1394هـ-19ع4م.
2- مجمع البيان في تفسير علوم القران ، ابو علي الفضل بن الحسن أمين الإسلام الطبرسي(ت548 هـ), مطبعة الاميرة , بيروت-لبنان , ط:1 ، 1430هـ-2009م.
3- الصفار، أبو جعفر، محمد بن الحسن بن فروخ(ت290هـ)، بصائر الدرجات، تح: ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، طهران إيران، 1404هـ - 1362هـ ش.
4- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي أو جامع الأحكام)، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(ت6ع1هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة – مصر، ط 2، 1384هـ - 1964م.
5- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار, محمد باقر تقي المجلسي (ت 1111هـ) , تحقيق : السيد ابراهيم المياحي , مؤسسة الوفاء , بيروت , ط:2 , 1984م.
6- عيون اخبار الرضا(عليه السلام)، ابو جعفر، محمد علي بن الحسين بن بابويه

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي

القمي(ت381هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان،ط1، 1430هـ - 2009م.

7- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمرو بن احمد(ت538هـ), رتبه وضبطه محمد عبد السلام شاهين دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

8- المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ) , ضبط هيثم طعمي , دار احياء التراث العربي , بيروت – لبنان , ط:1 ، بلا ت .

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i40-41.9386

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License. مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي 4,0 الدولي